سلسلة متون معهد السُّنّة - رقم (٤٦)
النسخة الأولى (١٤٤٣)

معهد السنة
As-Sunnah College

الكَلامُ على الصِّفات

لأحمد بن علي بن ثابتٍ الخطيب البغداديِّ

توفي سنة ٤٦٣هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ

بسم الله الرحمن الرحيم

كَتَبَ إِلَيَّ بَعْضُ أَهْلِ دِمَشْقٍ يَسْأَلُنِي عَنْ مَسَائِلَ ـ ذَكَرَهَا ـ، فَأَجَبْتُهُ عَنْ ذَلِكَ ـ وَقَرَأَهُ لَنَا فِي جَوَابِ مَا سُئِلَ عَنْهُ ـ؛ فَقَالَ:

وَقَفْتُ عَلَىٰ مَا كَتَبَ بِهِ الشَّيْخُ الفَاضِلُ، أَدَامَ اللهُ تَأْيِيدَهُ وَأَحْسَنَ تَوْفِيقَهُ وَتَسْدِيدَهُ:

أَمَّا الكَلَامُ فِي الصِّفَاتِ:

فَإِنَّ مَا رُوِيَ مِنْهَا فِي السُّنَنِ الصِّحَاحِ مَذْهَبُ السَّلَفِ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ - إِثْبَاتُهَا، وَإِجْرَاؤُهَا عَلَىٰ ظَوَاهِرِهَا، وَنَفْيُ الْكَيْفِيَّةِ وَالتَّشْبِيهِ عَنْهَا.

- **وَقَدْ نَفَاهَا قَوْمٌ**؛ فَأَبْطَلُوا مَا أَثْبَتَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ.

- **وَحَقَّقَهَا قَوْمٌ مِنَ الْـمُثْبِتِينَ**؛ فَخَرَجُوا فِي ذَلِكَ إِلَىٰ ضَرْبٍ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّكْيِيفِ.

وَالْقَصْدُ إِنَّمَا هُوَ سُلُوكُ الطَّرِيقَةِ الْـمُتَوَسِّطَةِ بَيْنَ الأَمْرَيْنِ، وَدِينُ اللهِ بَيْنَ الْغَالِي وَالْمُقَصِّرِ عَنْهُ.

وَالْأَصْلُ فِي هَذَا:

أَنَّ الْكَلَامَ فِي الصِّفَاتِ فَرْعٌ عَنِ الْكَلَامِ فِي الذَّاتِ، وَيُحْتَذَىٰ فِي ذَلِكَ حَذْوُهُ وَمِثَالُهُ، فَإِذَا كَانَ مَعْلُومًا أَنَّ إِثْبَاتَ رَبِّ الْعَالَـمِينَ ﷻ إِنَّمَا هُوَ إِثْبَاتُ وُجُودٍ، لَا إِثْبَاتُ كَيْفِيَّةٍ، فَكَذَلِكَ إِثْبَاتُ صِفَاتِهِ، إِنَّمَا هُوَ إِثْبَاتُ وُجُودٍ، لَا إِثْبَاتُ تَحْدِيدٍ وَتَكْيِيفٍ.

فَإِذَا قُلْنَا: للهِ تَعَالَىٰ يَدٌ، وَسَمْعٌ وَبَصَرٌ، **فَإِنَّمَا هِيَ**: صِفَاتٌ أَثْبَتَهَا اللهُ تَعَالَىٰ لِنَفْسِهِ.

وَلَا نَقُولُ: أَنَّ مَعْنَىٰ الْيَدِ: الْقُدْرَةُ، وَلَا أَنَّ مَعْنَىٰ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ: الْعِلْمُ.

وَلَا نَقُولُ: إِنَّهَا جَوَارِحُ، وَلَا نُشَبِّهُهَا بِالْأَيْدِي وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ الَّتِي هِيَ جَوَارِحُ، وَأَدَوَاتٌ لِلْفِعْلِ.

وَنَقُولُ: إِنَّمَا وَجَبَ إِثْبَاتُهَا؛ لِأَنَّ التَّوْقِيفَ وَرَدَ بِهَا، **وَوَجَبَ نَفْيُ التَّشْبِيهِ عَنْهَا**؛ لِقَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورىٰ]، وَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص].

وَلَـمَّا تَعَلَّقَ أَهْلُ الْبِدَعِ عَلَىٰ عَيْبِ أَهْلِ النَّقْلِ بِرِوَايَاتِهِمْ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ، وَلَبَّسُوا عَلَىٰ مَنْ ضَعُفَ عِلْمُهُ، بِأَنَّهُمْ يَرْوُونَ مَا لَا يَلِيقُ بِالتَّوْحِيدِ، وَلَا يَصِحُّ فِي الدِّينِ، وَرَمَوْهُمْ بِكُفْرِ أَهْلِ التَّشْبِيهِ، وَغَفْلَةِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ = **أُجِيبُوا**:

بِأَنَّ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ آيَاتٍ مُحكَمَاتٍ يُفْهَمُ مِنْهَا الـمُرَادُ بظاهِرِهَا، وآياتٍ مُتشابِهاتٍ، لَا يُوقَفُ عَلَىٰ مَعْنَاهَا إِلَّا بِرَدِّهَا إِلَى الْـمُحْكَمِ، وَيَجِبُ تَصْدِيقُ الْكُلِّ وَالْإِيمَانُ بِالْجَمِيعِ.

فَكَذَلِكَ أَخْبَارُ الرَّسُولِ ﷺ جَارِيَةٌ هٰذَا الْـمَجْرَىٰ، وَمُنَزَّلَةٌ عَلَىٰ هٰذَا التَّنْزِيلِ، بِرَدِّ الـمُتَشَابِهِ مِنْهَا إِلَى الـمُحْكَمِ، وَيُقْبَلُ الْجَمِيعُ.

وَتَنْقَسِمُ الْأَحَادِيثُ الْمَرْوِيَّةُ فِي الصِّفاتِ ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ:

مِنْهَا: **أَخْبَارٌ ثَابِتَةٌ** أَجْمَعَ أَئِمَّةُ النَّقْلِ عَلَىٰ صِحَّتِهَا؛ لِاسْتِفَاضَتِهَا وَعَدَالَةِ نَاقِلِيهَا، **فَيَجِبُ قَبُولُهَا وَالإِيمَانُ بِهَا**، مَعَ حِفْظِ الْقَلْبِ أَنْ يَسْبِقَ إِلَيْهِ اعْتِقَادُ مَا يَقْتَضِي تَشْبِيهَ اللهِ بِخَلْقِهِ، وَوَصْفَهُ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الْـجَوَارِحِ وَالْأَدَوَاتِ، وَالتَّغَيُّرِ وَالْـحَرَكَاتِ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: **أَخْبَارٌ سَاقِطَةٌ بِأَسَانِيدَ وَاهِيَةٍ**، وَأَلْفَاظٍ شَنِيعَةٍ، أَجْمَعَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِـالنَّقْلِ عَلَىٰ بُطُولِـهَا، **فَهٰذِهِ لَا يَجُوزُ الِاشْتِغَالُ بِهَا**، وَلَا التَّعْرِيجُ عَلَيْهَا.

وَالْقِسْمُ الثَّالِثُ: **أَخْبَارٌ اخْتَلَفَ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي أَحْوَالِ نَقَلَتِهَا**، فَقَبِلَهَم الْبَعْضُ دُونَ الكُلِّ، **فَهٰذِهِ يَجِبُ الاجْتِهَادُ وَالنَّظَرُ فِيهَا**؛ لِتُلْحَقَ بِأَهْلِ الْقَبُولِ، أَوْ تُجْعَلَ فِي حَيِّزِ الْفَسَادِ.

وَأَمَّا تَعْيِينُ الأَحَادِيثِ فَإِنِّي لَـمْ أَشْتَغِلْ بِهَا، وَلَا تَقَدَّمَ مِنِّي جَمْعٌ لَهَا، وَلَعَلَّ ذَلِكَ يَكُونُ فِيمَا بَعْدُ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.